

شرح

كتاب الاختصار من صحيح البخاري

الشرح

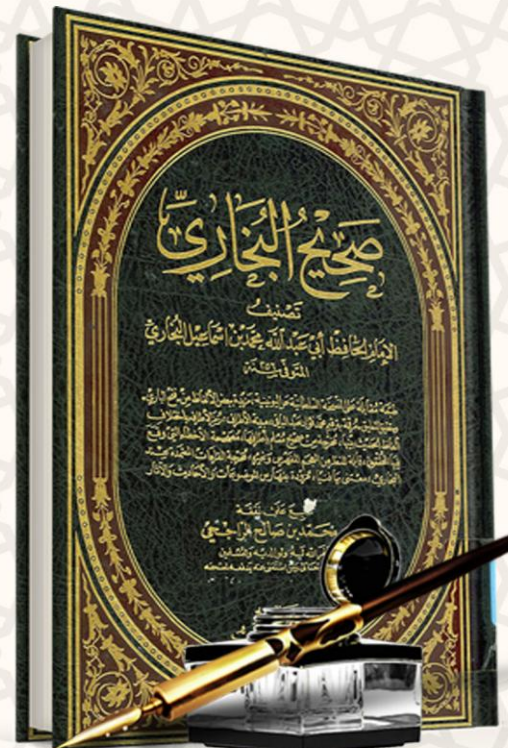
لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

عضو هيئة التدريس في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالدينة النبوية



ميراث الأنبياء



قام بها فريق التحرير بموقع ميراث الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لدرس في

نشر في مجتنب الاعتصام
نشر في مجتنب الاعتصام
من
صحيح الإمام البخاري

- رحمه الله تعالى -

ألقاه

فضيلة الشيخ الدكتور: محمد بن هادي المداخلي

- حفظه الله تعالى -

بجامع ابن هيجان بمحافظة الشقيق بجازان في شهر شوال عام ثمانية

وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية،

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع به الجميع.

الدرس الأول

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٦٤﴾ آل عمران: ٤٦١

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾ ١١ هـ: ١، وجعل منه مصدر هداية وإشعاعاً وأملاً يوصل المسلم إلى أسمى الغايات وأرفع الدرجات، قال -جلّ وعلا-: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿١﴾ عَمَّ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ١١ هـ: ١-٤، وقال -جلّ وعلا-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿٥﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٠﴾ ١١ هـ: ٩ - ١٠.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

أيها الأحبة: أهلاً وسهلاً بكم في هذا اللقاء وفي هذا المجلس الذي هو من مجالس العلم، دورة الشيخ أحمد بن هيجان -رحمه الله- العلمية الأولى في شرح: «كتاب الاعتصام من صحيح البخاري» وهذه الدورة لمدة ثلاثة أيام، والتي ينظمها المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالشقيق مشكوراً فبارك الله في جهودهم ووفقهم لنشر مجالس العلم ولإقامة مثل هذه البرامج المباركة.

ويسر أسرة آل هيجان نيابة عنهم الشيخ «إبراهيم بن أحمد هيجان» أن نرحب بفضيلة الشيخ الدكتور «محمد بن هادي المدخلي» - حفظه الله - كما نرحب بكم جميعاً أيها الحضور في هذا الجامع المبارك؛ جامع الشيخ أحمد بن هيجان - رحمه الله -.

ويسرنا أن نعطيكم تعريفاً مختصراً عن والدنا الشيخ «أحمد بن هيجان» - رحمه الله - هو أحمد بن محمد بن عبده هيجان ولد عام ألف وثلثمائة وخمسة وعشرين تقريباً، رحل لطلب العلم وهو صغير فرحل إلى حضرموت، وزيد، ورمض، وبيت الفقيه، ثم رحل إلى مكة، والمدينة ومكث فيها مدة طويلة يطلب العلم على علمائها، ثم رحل إلى بيت المقدس وصلى بالمسجد الأقصى وطلب العلم على علمائه في ذلك الوقت، حفظ القرآن في سن مبكرة، ومن أبرز شيوخه الشيخ العلامة «أحمد بن حسين بن عكاش»، والشيخ العلامة «أحمد الإبدي»، والشيخ المحدث «عبد الحق الهندي»، والشيخ العلامة «محمد الأمين الشنقيطي» - رحمهم الله جميعاً - وغيرهم من العلماء، تولى كثيراً من الأعمال الدعوية والتعليمية، وقد شارك مع الشيخ «عبد الله القرعاوي» - رحمه الله - تعالى - في نشر العلم والتدريس إلى أن تولى القضاء، توفي - رحمه الله - في اليوم الثالث من شهر شوال لعام ألف وأربعمائة واثنى عشر للهجرة - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته -.

أما شيخنا وضيفنا الذي سيعطر أسماعنا فهو فضيلة الشيخ الدكتور: «محمد بن هادي المدخلي» عضو هيئة التدريس بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تخرج فضيلته من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ألف وأربعمائة

وثان للهجرة، وحصل على الماجستير من الجامعة الإسلامية عام ألف وأربعمائة وأربعة عشر للهجرة وكان عنوان الرسالة: «**ما سكت عنه الإمام أبو داود مما في إسناده ضعف**» وحصل على تقدير ممتاز مع التوصية بالطبع، وحصل على الدكتوراة في عام ألف وأربعمائة وسبعة وعشرين للهجرة مع رتبة الشرف الأولى وكان عنوانها: «**زوائد الإمام أبي داود على الأصول الثمانية جمعاً ودراسة**» كما تتلمذ - حفظه الله - على نخبة من العلماء البارزين منهم والده الشيخ «**هادي المدخلي**»، والشيخ العلامة «**عبد العزيز بن باز**» - رحمه الله - خلال دراسته في جامعة الإمام، والشيخ العلامة «**أحمد بن يحيى النجمي**» - رحمه الله - وله منه إجازة بمروياته، والشيخ «**زيد بن محمد المدخلي**» - رحمه الله - وله منه إجازة، والشيخ «**حماد بن محمد الأنصاري**» - رحمه الله - وله منه إجازة أيضاً، وعدد من المشايخ الآخرين، ولفضيلته مجموعة من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة كما أن له جهوداً معروفة في مجال التعليم والدعوة، لا نطيل عليكم نترككم مع فضيلة الشيخ الدكتور: «**محمد بن هادي المدخلي**» ليفيدنا بما فتح الله عليه فليتفضل مشكوراً مأجوراً.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد رحمة الله للعالمين، وحجته على الخلق أجمعين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن أكون في هذه الليلة بين إخوة أحبة، ومحبين أجلة كرام، نجتمع في هذا المكان الطيب المبارك هذا البيت من بيوت الله الذي نجتمع فيه نتدارس باباً عظيماً

من أبواب العلم هو لب الرسالة وخلاصتها، هو الذي بعث الله به رسوله مُحَمَّدًا -صلى الله عليه وسلم- والأنبياء جميعًا -عليهم الصلاة والسلام-، وإنه لما يحسن التذكير به والتنبية عليه وإن كان حاضرًا، ولكن تكريره لتوكيده، إنما أحب أن أذكر به هو قبل أن نبدأ في كلمتنا ثم الدرس أقول: إن من عامل الله في الخفاء كتب الله له ولأعماله الخيرة، ولذكره الصالح البقاء، وإن من هؤلاء ولا نزكي على الله أحدًا صاحب الفضيلة الشيخ الجليل والقاضي النبيل والداعية المصلح في هذا المنطقة العابد الزاهد الشيخ: «أحمد بن هيجان» -رحمة الله عليه ورضوانه- يعرفه أهل منطقته، ويكفيه أن الله يعرفه -سبحانه وتعالى- هذا الرجل لا يعرفه إلا من عاشره أو جالسه لو مرة واحدة، رجل اختلط العلم بشغاف قلبه، أحب العلم محبة يعرفها منه من جالسه مجالسة العلم، رجل أحيا الله به أقوامًا ونفع الله به أممًا في هذه المنطقة قبل أن يكون الأمر الذي نحن فيه الآن من المدارس النظامية والمعاهد الحكومية ونحوها، كان عالمًا صادقًا، وناصحًا مخلصًا مجاهدًا، وداعيةً إلى الله في مجتمعه صابرًا محتسبًا مقاله وفعاله -رحمه الله تعالى-، مؤثرًا للتواضع والخمول والبعد عن الأنظار والأضواء فكتب الله -جل وعز- له ولذكره البقاء، وإن من أسباب ذكره ألا يذكر إلا ببابه الذي يدخل ويخرج منه ألا وهو باب العلم، ونعم الباب الذي دخله -رحمه الله تعالى عليه- فيذكر -رحمه الله- بين أهله وأحبته الذين عرفوه بالعلم والدعوة والإصلاح، وها هو اليوم يكتب الله له الذكر في مثل هذا المجلس الذي يشرق ويغرب عبر الأثير في العالم كله منقولًا على الهواء فيذكر هذا الشيخ مع أنه كان محبًا للتواضع والخمول والبعد عن الأضواء، وكما قلت أول الكلام: من عامل

الله في الخفاء كتب الله لأعماله الصالحة الذكر والبقاء ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ٨٤ ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ

وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ الشعراء: ٤٨ - ٥٨

فنسأل الله - جل وعز - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل له لسان ذكر في الآخرين
ولسان خير في الآخرين، وأن يجعله من أهل جنة النعيم، وأن يرفع درجاته في عليين، وأن ينصر بها
وجهه مع عباده الصالحين وأوليائه المتقين.

أيها الإخوة في الله: إن إقامة مثل هذا الدورات التي ترتبط بأقوام عرفوا بالجد والاجتهاد في حين
غفلة كثير من الناس عن طلب العلم واحتمال المشقة في تحصيله، إن ذلك لمن أعظم الدواعي
وأقوى المحفزات لنا في هذا العصر الذي تسهلت فيه إمكانيات الوصول إلى العلوم، مما أدى ببعض
الناس إلى إثارة الكسل والخمول فقصر في جانب الارتحال والالتقاء بالأشياخ والسماع منهم
والجلوس بين أيديهم والتلقي عنهم والأخذ عليهم.

أقول: إن هذا الزمن الذي تقارب فيه العالم وتيسرت فيه وسائل الاتصال سهل الله فيه نقل
مثل هذا العلوم ونشر مثل هذا الأخبار الطيبة عن هؤلاء الصالحين في جميع الأقطار، فإذا وصلهم
ذلك كان أعظم محفز لمن يسمع أن يسلك سبيلهم وأن يسير في طريقهم.

وَاحْطُ رَحَالِكَ إِنَّ تَنْزِلَ بِسُوحِهِمْ



اسْلُكْ مَنَارَهُمْ وَالزَّمْ شَعَارَهُمْ

وَرُمْتَ مَجْرًا رَفِيعًا مِثْلَ مَجْرِهِمْ



فَإِنَّ أَرْوْتَ رُقِيًّا نَحْوَ رُتْبَتِهِمْ

وَاصْعَدْ بَعْزِمٍ وَجَدَّ مِثْلَ جَرِّهِمْ



فَاعْمَرْ إِلَى سُلَمِ التَّقْوَى الَّذِي نَصَبُوا

فما علينا معشر الأحبة إلا أن نضحّي، فإن العلم كما قال «يحيى بن أبي كثير» وذكر ذلك عنه الإمام مسلم في صحيحه -رحمهم الله جميعاً- "لَا يُسْتَطَاعُ بَرَاةُ الْجَسَدِ".

وعبارات أهل العلم في هذا الباب كثيرة وليس هذا محل ذكرها، فلا بد من التعب، والتعب هنا هو التعب الذي.

الجرُّ في الجِرِّ والحِرمان في الحِسْلِ فأنصب تصب عن قريب غاية الأمل
فيم الإقامة بالزوراء لا سگني بها ولا ناقتي فيها ولا جمل

فلا بد معشر الأحبة من المحافظة على هذا السبيل؛ أعني سبيل آبائنا وأشياخنا في طلب العلم بالارتحال إلى أهله والقعود بين أيديهم والتلقي عنهم، فإن في ذلك بقاء سلسلة الإسناد والاتصال بصاحب الشريعة -صلى الله عليه وسلم- فإن هذا الدين قد جاءنا بالأسانيد المتصلة عن رسول رب العالمين -صلوات الله وسلامه عليه-.

إن هذه الدورة التي سمعتم الاسم الذي تحمله وهو اسم هذا العلم -رحمه الله- نرجو لها الاستمرار والبقاء، وبإذن الله تستمر بفضل الله ورحمته ثم بوجود أبناء الشيخ وورثته البررة الذين رأيناهم فصغرت أنفسنا في أعيننا مما رأيناهم منهم، يتدفقون عطاءً يتلذذ المرء بالجلوس معهم، تتشرف مسماعه حينما يسمع كلامهم يتساقط كالجمان حلاوة وطلاوة، ألد على القلب من الزبد على العسل المصفى، فهو إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه الأفنان قد أثمرت، والشيخ -رحمه الله- قد غرس شجرة عظيمة وما غادر إلا وقد أثمرت، وها نحن اليوم نجتني من ثمارها التي قطفها

أبناءؤه وأحفاده، ومن ثمارها هذه الدورة التي نسأل الله -جل وعلا- أن يبارك فيها وأن يديمها وأن يوفق القائمين عليها وأن يسددهم لكل خير.

معشر الأحبة: إن الموضوع الذي اختير لهذا الدورة موضوع عظيم يحتاج إليه المسلم في جميع حياته وفي حركاته وسكناته ألا وهو الاعتصام بالكتاب والسنة، إن الاعتصام بالكتاب والسنة هو سبب النجاة في الحياة وبعد الممات، فأما في الحياة فهو سبب للنجاة من فتن الشبهات والشهوات. وفي الآخرة سبب للنجاة من دار الهلاك النار -والعياذ بالله- والوصول إلى الجنات التي إنما لأجلها نسعى في هذه الدنيا، ونعمل ونرجو من ربنا القبول والتوفيق والتجاوز والعفو والمسامحة.

معشر الأحبة: إن الاعتصام بالكتاب والسنة ليست كلمة تُقال وإنما هي عقيدة في قلوب أهل الإسلام تصدق الأقوال فيها الأفعال، ويُرى ذلك جلياً ظاهراً من أصحاب الأعمال الذين يدعون هذه الدعوى، إن الدعوى سهلة ولكن التطبيق والتحقيق والتصديق هو الذي يُنظر إليه.

معشر الأحبة: ونحن بالخصوص في هذه الآونة وفي هذا الوقت بالذات ترون الفتن كم هي قد أحاطت بنا وبمجتمعنا مشرقاً ومغرباً، وشمالاً وجنوباً، شاماً ويمناً وبقيت هذه البلاد محفوظة بحفظ الله -تبارك وتعالى- لها، فقد حفظها الله -جل وعز- من فتن الشبهات، وحفظها الله -جل وعز- من فتن الشهوات، وما ذاك إلا بسبب اعتصامها واعتصام أهلها بكتاب الله -جل وعلا- وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وتطبيق ذلك على عموم الشعب والرعية تدريجاً وتأديباً وتثقيفاً قامت على هذا، وحكماً وتحاكماً وقضاءً قامت على هذا، وسياسةً قامت على هذا فحفظها الله

- جل وعز - وهداها صراطه المستقيم، وحفظها الله - جل وعز - وجنبها الأهواء والبدع وقمع المخالفين لها وأظهرها - سبحانه وتعالى -، وما ذاك إلا إنفاذاً لوعده - جل وعلا - في قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠١، وقوله - جل وعز -: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران: ١٠١، فلما نفذوا ما أمر الله - جل وعلا - من الاعتصام بكتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - حفظهم الله وهداهم، والنبى - عليه الصلاة والسلام - وسيأتي معنا - إن شاء الله - قد حث على ذلك بقوله - عليه الصلاة والسلام -: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -» فحبل الله - جل وعلا - هو الكتاب والسنة يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» يقول - جل وعلا -: ﴿وَالْتَجَمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۖ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ۝٤﴾

الجم: ١ - ٤

وحي من الله، هذه السنة وحي من الله كالقرآن شاهده في هذه الآيات التي تلونها، فمن يعتصم بالكتاب والسنة فقد هُدي إلى صراط مستقيم، فهما الحبل.

والاعتصام المراد به: التمسك بهذين السببين، فكما أن الحبل سبب لحفظ الإنسان إذا التزم به، وتمسك به يحفظ عليه توازنه ولا يختل ولا يقع إذا تمسك به، وهكذا يحفظ عليه حياته إذا غار الماء وأراد أن يستقي فإنه يستقي به فيوصله إلى الماء المعين فيستخرجه ويشرب منه فيبقى على قيد الحياة، هكذا الكتاب والسنة إن التمسك بهما سبب للبقاء على الحياة الصالحة السعيدة فإذا فرط المرء في ذلك يفوته بقدر ما فرط، وربنا - جل وعلا - يقول: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ آل عمران: ١٠١، يعني بحبله

الذي قاله قبل قليل ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ﴾ آل عمران: ٣٠١

فالتمسك بهذا الحبل يمنع صاحبه ويحفظه من الوقوع في هذه الحفرة المهلكة ألا وهي حفرة الأهواء، حفرة الشبهات، حفرة الشهوات -نسأل الله العافية والسلامة- فإذا تمسك الإنسان بهذا نجا وإن هو فرط هلك «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا بَعْدِي: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي» فالضلال كل الضلال في ترك التمسك بالكتاب والسنة، والفلاح كل الفلاح في التمسك بالكتاب والسنة فهذا هو الاعتصام، وهذا هو الالتجاء الذي ينبغي للمسلم أن يقوم به وأن يجاهد نفسه عليه، فعلى هذا مضى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

يجب على كل مؤمن أن لا يعمل حتى ينظر ويتأمل ويتدبر في كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل فيها دليل لقوله وعمله؟ فليقدم أم أنه لا يوجد فيها دليل لقوله وعمله، فحينئذ يطلب السلامة لنفسه، وعلى هذا كان سلفنا الصالحون من التابعين وأتباعهم وأئمة الهدى -رحمهم الله جميعاً- وهذا هو أصل سلامة ونجاة أهل السنة من الوقوع في الهلاك الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفَتَرَقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً قَالُوا: مَنْ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» والذي عليه ذلك اليوم هو وأصحابه هو الكتاب والسنة الذي قال فيها -عليه الصلاة والسلام-: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ

الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»
 والزيادة الثانية المشهورة «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» وجاء عند ابن ماجه حينما قيل له من هم يا رسول
 الله قال: «هُمْ الْجَمَاعَةُ» وجاء عند أبي داود زيادة «وَإِنَّهُ سَيَخْرِجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمُ الْأَهْوَاءُ
 كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عَرْقٌ، وَلَا مَفْصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ» نسأل الله العافية والسلامة.
 فهذه الأهواء المضلة المهلكة المردية شبهها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالكلب، والكلب
 هو: الداء الذي يصيب المرء من عضه الكلب، الكلب يعني: الشبق، فيسيري سريعاً، شبهها بهذا
 الداء الذي يسري سريعاً في الإنسان إذا عضه ذلك الكلب الكلب، شبه هذه الأدواء في شدة
 ضررها بهذا الكلب المسعور - أجلكم الله -، فإنه إذا عض الإنسان هلك، فالأهواء هكذا إذا تمكنت
 من قلب الإنسان لا تدع عرقاً ولا مفصلاً إلا دخلته، وإذا دخلته استحكمت الهلكة به - والعياذ
 بالله -.

فيجب علينا جميعاً - معشر الأحبة - أن نعلم أن الاعتصام بالكتاب والسنة هو النجاة، فعلى
 العبد أن يحرص في جميع أقواله وجميع أفعاله أن يعرضها على الكتاب العزيز، والسنة المطهرة هل
 هي موافقة فيحمد الله، أم غير موافقة فيسأل الله الهداية والتوفيق والسداد، ومن يأمن البلاء على
 نفسه؟ إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أبو الأنبياء، المعصوم - صلى الله عليه وسلم - يقول:
 ﴿وَأَجَبْنِي وَبَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [٣٥]، [٥٣]، يقع في الشرك، يسأل الله أن لا يوقعه في الشرك مع
 أنه جاء بهدم الشرك ومحاربة الشرك، بُعث لأجل ذلك، قال إبراهيم التيمي: "فمن يأمن البلاء بعد

إبراهيم وهذا من لطائف الموافقات أن يتكلم إبراهيم التيمي على كلام إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام-.

فالعبد لا يأمن في هذه الحياة -معشر الأحبة-، ونحن -معشر الأحبة والأبناء- في هذا الزمن كثرت فيه الشُّبه، وكثرت فيه الأهواء، لو فرضت ما فرضت مما تتصوره من هذه الشُّبه والأهواء، أظن إلى وقت قريب جداً ما كنت ستبلغ إلى أن تتصور أن ابناً يقتل أمه، هكذا، ويحاول قتل أبيه، لم؟ لأن الأهواء قد استحكمت فيهم -نعوذ بالله من ذلك-، فهي مثل الكلب الكلب لم تدع في مثل هؤلاء عرقاً ولا مفصلاً إلا دخلته يعني تمكنت منهم تماماً، فأصبحوا كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث حذيفة في الفتن: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكْتُ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتُ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا -يعني كلون الطين، بُني، فيه كدرة- كَالْكُوزِ مُجَخَّيًّا -يعني منكوسًا- لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» فهذا الذي فيه وفي أمثاله يصدق قول الله: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١١١] وفيه وفي أمثاله يصدق قول الله -جل وعز-: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿١١١﴾ هـ: ٥٥..

هؤلاء تركوا الاعتصام بالكتاب، وتركوا الاعتصام بالسنة، لو نظروا في الكتاب كم هي الآيات التي تأمر بحسن عشرة الوالدين وإن كانا كافرين! وكم هي الأحاديث التي في السنة التي تأمر بمثل ذلك! لكن لما زاغوا أزاغ الله قلوبهم واستحكمت فيهم الأهواء -معشر الأحبة-، فأعماهم الهوى فأصبحوا لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا إلا ما أشرَبوا من أهوائهم، أيتصور إنسان أن ابنًا يقتل أمه ويرى ذلك قربة!! هذه هي المصيبة -فنعوذ بالله من ذلك- هذا إن دل على شيء فإنما يدل -معشر الأحبة- على أن الشُّبه والأهواء خطيرة جدًا، ولهذا فنحن بحاجة ماسة إلى التذكير بكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، التذكير به دائمًا للناس حتى يعلموا ما أوجب الله عليهم، ويعلموا ما نهاهم الله -تبارك وتعالى- عنه، ويعلموا خطورة الاستجابة للأهواء، وخطورة مجانبة الأخذ بالكتاب والسنة، وبناء على ذلك فلا بد لكم -معشر الشباب- من أن تقرأوا هذا الكتاب، ومن أن تأخذوا هذا العلم على أيدي الأشياخ الذين عُرفوا بالسنة، الذين يُؤمّنون على تربية الناشئة، الذين يصلحون النشءَ ويحمونه ويحوظونه بعنايتهم بعد عناية الله -تبارك وتعالى-، واعلموا -حفظكم الله- أن السنة قد كان سلفنا الصالح يمثلونها بسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك، هذا صحيح وذلك لأن سفينة نوح -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- كانت تجري بهم في موج كالجبال حتى سلمها الله واستوت على الجودي، وهكذا السنة النبوية الآخذ بها في خضم هذه البحار المتلاطمة من الأهواء والفتن يركب فيها الإنسان إلى شاطئ السلامة، ولذلك قال عمر للصحابه كما في الحديث السابق قبل قليل: «**أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ**

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَذْكُرُ الْفِتْنَ الَّتِي تَمْوُجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟» شبهها بم؟ بموج البحر، متلاطمة، موجة بعد أخرى، بعد أخرى، بعد أخرى والذي لا يركب في السفينة ولا يحسن السباحة يهلك، فهكذا الفتن -نسأل الله العافية والسلامة- يحتاج إلى أن يعتصم بالله -جل وعلا-، والاعتصام بالله هو الاعتصام بكتابه، ويعتصم بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى ينجو من ذلك كله، فإن هو وفق لهذا فقد وفق للسلامة، وإن هو أخل بهذا فإنه قد أوقع نفسه في سبيل العطب، نسأل الله العافية والسلامة.

واعلموا -حفظكم الله- أن هذا الكتاب؛ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة حوى قريباً من مائة حديث، ونحن لن نأتي عليه في هذه الليلة وليلة الغد مهما كان، ولكننا حسبنا أننا نشرع ونسأل الله -جل وعز- أن يعين وأن يوفق ويسدد، فإن كتب الله -سبحانه وتعالى- لنا لقاءات أخرى لعلنا نكملة عندكم في لقاءات أخرى، ولعلي استشففت ذلك من قول أحبتي فيما كتبوه «دورة الشيخ أحمد هيجان العلمية الأولى» ونرجو الله -جل وعلا- أن تتبعها دورات ودورات يعمر بها هذا المسجد المبارك ويتنفع فيها أبناء هذه المنطقة، فإن لهم حقاً على المشايخ وعلى أهل العلم، وما أنا إلا واحدٌ من أبناء هذه المنطقة وليس لي من فضل على أحد، وإنما لعلني أؤدي بعض المعروف الذي قد قلّد عنقي ووجب علي.

ونسأل الله - سبحانه وتعالى - التوفيق للجميع، كما نسأله - سبحانه وتعالى - أن يعيذنا وإياكم جميعاً من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا وإياكم جميعاً ممن اعتصم بكتاب الله المبين وبسنة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - فنجا إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

المتن:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسولنا الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال الإمام البخاري - رحمه الله وغفر الله له ولشيخنا والحاضرين ولجميع المسلمين والمسلمات - في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة:

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَسْعَرٍ وَغَيْرِهِ عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^{المائدة: ٣} لَتَأْخُذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ، سَمِعَ سُفْيَانُ مِنْ مَسْعَرٍ وَمَسْعَرٍ قَيْسًا وَقَيْسٌ طَارِقًا.

الشرح:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

هذا الحديث استفتح به الإمام البخاري - رحمه الله تعالى ورضي عنه - كتاب الاعتصام،
استفتح بحديث طارق بن شهاب - رضي الله عنه - كتاب الاعتصام وهو ما سمعتموه أن رجلاً من
اليهود قال لأmir المؤمنين عمر - رضي الله عنه - : «لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ» وقرأ الآية: ﴿الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣

قال هذا الرجل: «لَا تَخَذُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا» يعني فرحوا فيه «فَقَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه - : إني
لَأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ» ثم قال البخاري - رحمه الله - : "سَمِعَ
سُفْيَانُ مِنْ مَسْعَرٍ وَمَسْعَرٌ قَيْسًا وَقَيْسٌ طَارِقًا" يعني سفيان قد ثبت، وهو سفيان بن عيينة، سيأتينا
ثبت سماعه من مسعر، ومسعر هو ابن كدام سيأتينا إن شاء الله التعريف به، ومسعرٌ يعني مسعر بن
كدام سمع قيسًا ما قال من قيس اختصارًا، قال وسمع مسعرٌ قيسًا، وقيسٌ طارقًا، قيس الجدلي
سيأتينا إن شاء الله، وقيسٌ طارقًا يعني طارق بن شهاب، ومراده بهذا، كما سيأتينا إن شاء الله معنا
بسطه، مراده بهذا أن الإسناد متصل، فالسماع من هؤلاء الرجال أو بين هؤلاء الرجال بعضهم من
بعض حاصل، قد حصل فلا يضر لو وجد في موضع من المواضع هذا الحديث بالعنعنة، لماذا؟ لأنه
قد ثبت سماع كل واحد من هؤلاء من شيخه، فالحميدي قد سمع من سفيان وهو أجل تلاميذ
سفيان لزمه أكثر من تسع عشرة سنة، وهكذا سفيان قد سمع من مسعر بن كدام، ومسعر بن كدام
قد سمع من قيس بن مسلم الجدلي، وقيس قد سمع من طارق بن شهاب، إذا الإمام البخاري أراد
بهذه الجملة إثبات سماع كل واحد من هؤلاء من شيخه.

وبعد ذلك نقول: هذا الحديث - حفظكم الله - نتكلم عليه إن شاء الله - تعالى - من عدة

وجوه:

أما الوجه الأول: فهذا الحديث متفق عليه قد خرجه إضافة إلى الإمام البخاري الإمام مسلم في

صحيحه، فهو متفق عليه.

الوجه الثاني: هذا الحديث خرجه من بقية الستة الترمذي والنسائي.

فإذاً هو عند الشيخين، وعند الترمذي، وعند النسائي، فلم يخرجهم أبو داود، ولم يخرجهم ابن

ماجه، لم يخرجهم من الأربعة إلا من ذكرنا الترمذي، والنسائي.

الوجه الثالث: هذا الحديث من الأحاديث المكررة عند الإمام البخاري، والبخاري أحاديث

كتابه على قسمين: قسم تكرر، وقسم لم يتكرر.

مكررات وغير مكررات، فهذا الحديث من الأحاديث التي كررها الإمام البخاري، فقد كرهه

في أربعة مواضع، وإذا نظرت إلى إخراج له في كل موضع وجدت أن في هذا التكرار فائدة.

قالوا المكرر فيه قلت المكرر أحلى ولا يملنك ما تكرر لعله يملو إؤا تكرر

قد أخرجه البخاري:

• أول موضع في: "كتاب الإيمان" في زيادة الإيمان ونقصانه.

• كما أخرجه أيضًا في "كتاب المغازي" في حجة الوداع، هذا الموضع الثاني.

✽ والموضع الثالث خرجه - رحمه الله - في "كتاب التفسير" سورة المائدة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ﴾ المائدة: ٣، مناسبتة الآية.

✽ الموضع الرابع هو هذا "كتاب الاعتصام".

فحين نقول إنه قد كرره في هذه المواضع الأربعة من صحيحه وسقناها على الترتيب، الآن

سترون النكات في هذه المواضع جميعاً:

أما الموضع الأول الذي هو: "كتاب الإيمان" في باب زيادة الإيمان ونقصانه فقد خرجه عن شيخه

الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون قال: حدثنا أبو العميس، وأبو العميس بمهملتين، مصغر

عُمَيْس وهو عتبة بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود؛ عبد الله بن مسعود جده، والده هو

عبد الله، هو عتبة بن عبد الله وجده الأدنى عتبة، وجده الأعلى عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى

عنه -، فهل ترون الآن هذا الإسناد كهذا؟ اختلف فيه، الشيخ عندنا هنا الحميدي وهو عبد الله بن

الزبير الحميدي تلميذ سفيان.

شيخه في هذا الموطن الحسن بن الصباح، ثم الحسن بن الصباح سمعه من جعفر بن عون

وجعفر بن عون سمعه ممن؟ من أبي العميس، وقلنا إن أبا العميس عتبة بن عبد الله بن عتبة بن عبد

الله يعني لفيف مفروق كما يقول البلاغيون أحمد شوقي، فهو عتبة بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله إذاً

أين الالتقاء؟ قال أخبرنا قيس بن مسلم وعندنا عن قيس بن مسلم، فجاء الإخبار هناك، وهنا

العنة فاختلف الشيخ وهذه فائدة فشيوخ البخاري متنوعون في المواضع الأربعة جميعاً هذه فائدة،

هذا يدل على أن الحديث عنده محفوظ من عدة طرق ومن عدة وجوه، وهو دليل على سعة محفظه - رحمه الله تعالى -، ثم إنه هنا جاء به عن مسعر وغيره عن قيس بالعننة، ولذلك احتاج إلى أن يقول سمع سفيان من مسعر ولا لأ؟ قال: سمع سفيان من مسعر، ومسعر قيسًا، وقيس طارقًا، عندنا هنا لا، قال: أخبرنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب.

والمرة الثانية: التي ذكرناها هي في "كتاب المغازي" حيث خرج من طريق محمد بن يوسف شيخه هو محمد بن يوسف الفريابي - رحمه الله - عن سفيان الثوري، قال: حدثنا سفيان الثوري هذا الموضع الثاني.

إذًا عندنا هنا الحميدي يروي عن؟ عن سفيان بن عيينة، إذا جاء الحميدي فشيخه سفيان بن عيينة، فهنا اختص به فهنا الشيخ سفيان بن عيينة، شيخه شيخ البخاري، شيخه الحميدي عبد الله بن الزبير، وسفيان هنا المهمل هو ابن عيينة، هناك جاء به من طريق محمد بن يوسف الفريابي، قال حدثنا الثوري فإذا الحديث مروي عن ابن عيينة، ومروي عند البخاري أيضًا عن الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، ثم جاء باللفظ هناك ليس كاللفظ هنا، هنا قال: «رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ» قال رجل من اليهود هناك «أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْيَهُودِ - يعني جمع - قَالُوا: لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا! فَقَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه -: أَيُّ آيَةٍ؟ فَقَالُوا: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" فَقَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه -: "إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ مَكَانٍ أُنْزِلَتْ، أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَفُ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ" وذكر أنها نزلت بمكة

بعرفة يوم الجمعة، فهنا عندنا قال: رجل، وفي الموضع الثاني الذي هو كتاب المغازي: أن ناسًا من اليهود، فهذه رواية أخرى كأنك تقول القصة واحدة كيف هنا ناس، وهنا رجل؟ كل هذا سيأتينا إن شاء الله الكلام عليه والجمع، لكن خذوها، إذاً اختلف اللفظ هنا اختلف ولا لا؟ إذاً هذه نكتة هنا اختلف، يريد من هذا البخاري -رحمه الله- أن يبين لك الروايات جاءت على كذا وعلى كذا وعلى كذا وعلى كذا، وهي كلها صحيحة لكن لا يعرف صحتها وعدم التناقض بينها إلا من دقق النظر، وهذا لا يكون إلا لمن اختص بهذا الفن ووقف على الروايات.

فالشاهد: عندنا قال رجل من اليهود لعمر، وفي كتاب المغازي: أن ناسًا، فدل ذلك على اختلاف الروايات والاختلاف هذا يجعل بعض من لا علم عنده يتكلم في الروايات فيحتاج أهل العلم إلى أن يوجهوا هذه الروايات بذكر الروايات التي يجتمع بها ما كان ظاهره التخالف، فإذا هذا الموضع يختلف عن ذاك الموضع في الإسناد لا يلتقي إلا في قيس عن طارق، فمدار الحديث في المواضع كلها قيس، قيس بن مسلم وهو الجدلي سيأتينا عن طارق بن شهاب، أما من دون قيس فإنهم يختلفون اختلافًا كليًا.

المرّة الثالثة: هي في "كتاب التفسير" رواه البخاري في كتاب التفسير من طريق شيخ ثالث ألا وهو محمد بن بشار، ومحمد بن بشار هو بندار الحافظ -رحمه الله-، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سفيان يعني الثوري عن قيس عن طارق، ثم ساق الحديث وفي آخره عندنا في آخر الحديث فقال عمر إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت متى؟ يوم عرفة يوم الجمعة، في هذا

الموضع اسمعوا ماذا قال سفيان؟ قَالَ سُفْيَان - رحمه الله -: "أَشْكُ كَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ أَمْ لَا" يعني يوم وقفة النبي - صلى الله عليه وسلم - هل كانت يوم جمعة أم لا، شك هنا سفيان الثوري، بينما عندنا هنا أن سفيان بن عيينة - رحمه الله - ذكر أنها نزلت يوم عرفة في يوم جمعة بلا شك، فهذا هو الموضع الثالث، لم يذكر يوم الجمعة في هذه الرواية لم يذكر يوم الجمعة هذا شيء.

شيء آخر: قالت اليهود بداية الرواية قالت اليهود تقدم معنا قبل قليل أن ناسا من اليهود وهنا «قَالَتِ الْيَهُودُ» فاختلف اللفظ ولا لا؟ اختلف اللفظ، ثم إنه جاء في آخره إشكال وهو الشك كيف؟ هنا عندنا بدون شك، وهنا شك يقول: أنا ما أدري أكان يوم جمعة ولا لا، شك سفيان - رحمه الله تعالى - فهذا هو الموطن الثالث الذي هو "كتاب التفسير" عندنا هنا بعده الموطن الرابع الذي بين أيدينا "كتاب الاعتصام" لا شك فيه.

الوجه الرابع: تكرار البخاري - رحمه الله تعالى - لهذه الطرق واختلاف الألفاظ يستفاد منه عدة فوائد:

فمن هذه الفوائد: تعدد الشيوخ في الحديث الواحد، وذلك دليل على سعة محفوظ الإمام البخاري - رحمه الله - حيث يكون عنده الحديث عن عدة شيوخ، وقد يكونون أكثر من هذا العدد لكنه ينتقي منهم - رحمه الله تعالى -.

ومن هذه الفوائد: في التكرار الوقوف على سماع الرواة بعضهم من بعض، كما هنا في الاعتصام سمع سفيان من مسعر، ومسعر قيسا وقيس طارقا هذا ما ذكره في بقية المواضع جاء به هنا، فهذه

فائدة من فوائد ذكر الحديث في هذا الموضع الرابع، حيث دلنا على أن هؤلاء الرجال قد ثبت سماع كل واحد منهم من الآخر فلا يضر مجيئه بالنعنة، هذا يفيدنا هنا ولا شك.

ولذلك عقب الحافظ ابن حجر - رحمه الله - على صنيع البخاري هذا بقوله: هذا الكلام الذي هو سمع سفيان من مسعر، قال: "هذا الكلام يشير فيه الإمام البخاري إلى أن العننة المذكورة في هذا السند محمولة عنده على السماع" العننة عند البخاري محمولة على السماع، لماذا؟ لاطلاعه على سماع كل منهم من شيخه، وهذا من الفوائد المهمة التي نستفيد منها نحن من تكرار البخاري، فتأتي أنت وتقول: رواه بالنعنة في باب كذا، لكنه قد صرح في باب كذا حيث قال: حدثنا، أخبرنا، إلى آخره فهذا من فوائد التكرار.

ومن الفوائد أيضاً المستفادة من التكرار: الاطلاع على الألفاظ المختلفة في الحديث الواحد، فيفسر بعضها ببعض، ومعلوم عند المحدثين في هذا الباب أمران:

الأمر الأول: أن الحديث ما لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه.

والثاني: الذي هو أكثر شهرة ما لم تجمع طرقه لم يتبين فقهه، ففقه الحديث يعتمد على الألفاظ، وصحة الحديث تعتمد على الإسناد، تعتمد على الرجال، فحينما يأتي إلى التصريح بالسماع يفيدك فيم؟ في الإسناد، في الاتصال وعدم الاتصال، حينما تأتي إلى اختلاف الألفاظ يفيدك ذلك في الفقه فإنه بكذا يعني كذا وبكذا يعني كذا، أو تجمع بين هذه الألفاظ فإن الروايات كما قيل يشرح بعضها بعضاً، ويفسر بعضها بعضاً، وفي هذا يقول الحافظ - رحمه الله - يقول: "بعض الفقهاء

لو كلفوا أنفسهم جمع الطرق لاستغنوا عن كثير من الاحتمالات" يعني لعله كذا لعله كذا، فلو أنه كلف نفسه يجمع طرق هذا الحديث وألفاظه لما احتاج إلى أن يقول: لعله يُراد به كذا؛ لأنه قد يأتي في بعض طرق الحديث هذا الذي أنت تقول فيه إيش؟ لعله، فتجده منصوفاً فإذا وجدته منصوفاً فهو أقوى من أن يكون احتمالاً، أقوى من أن يكون التماساً منك، فتجده أنت في الطريق الأخرى منصوفاً، فإذا وجدته منصوفاً كان أقوى، فيحتاج الإنسان إلى أن يجمع الطرق لمثل هذا، ويحتاج الإنسان إلى أن يقف على التكرار في الكتاب الذي يكثر صاحبه من التكرار ليجمع روايات الحديث فهذا منها.

أما رجال هذا الإسناد فهذا هو الوجه الخامس من كلامنا على هذا الحديث: رجال الإسناد هنا معناهم الحميدي، والحميدي - كما قلنا - هو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى القرشي، من رهط خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وهو الحافظ الفقيه شيخ الحرم المكي، يكنى بأبي بكر.

وهو معروف باسمه ومعروف بنسبته، فإذا قيل عبد الله بن الزبير عُرف، وإذا قيل الحميدي عُرف، وله مسندٌ - رحمه الله تعالى - مشهور وقد حدث عنه ابن عيينة حدثه عن ابن عيينة فأكثر، ولزم ابن عيينة - كما قلنا - قرابة تسع عشرة سنة، أو تزيد، وقد جود حديث ابن عيينة، وروى عن وكيع، وروى عن الشافعي - رحمهم الله - وهو من كبار شيوخ البخاري، روى عنه البخاري - رحمه الله -، وروى عنه أبو حاتم - رحمه الله - وروى عنه أبو زرعة، الرازيان؛ أبو حاتم الرازي وأبو زرعة

الرازي، وروى عنه محمد بن يحيى الذهلي الحافظ - رحمه الله - كل هؤلاء روى عنه، قال عنه أحمد - رحمه الله -: **"الحميدي عندنا إمام"** وهو كذلك إمام في الحديث، وإمام في السنة - رحمه الله -.

وقال عنه أبو حاتم: **"أثبت الناس في ابن عيينة الحميدي، وهو رئيس أصحاب أبي عيينة - يعني رأسهم وكبيرهم وأكثرهم إتقانًا- قال وهو ثقة إمام"**.

وقال عنه يعقوب بن سفيان البسوي صاحب كتاب المعرفة والتاريخ: **"ما لقيت أنصح للإسلام وأهله من الحميدي - رحمه الله تعالى -"**، والحميدي إمام شهير لكن هذه بعض الشذرات فيه - رحمه الله تعالى -.

وشيوخ الحميدي هو سفيان بن عيينة، وسفيان بن عيينة تعرفونه - رحمه الله تعالى -.

وأما مسعر فهو بهذا الضبط، مسعر بكسر الميم وإسكان المهملة، وفتح العين، ابن كدام بكسر الكاف، وفتح الدال المهملة مخففة، مسعر هو ابن كدام وهو ثقة.

وأما قوله: وغيره، فهذا الغير أبهم، هذا الغير يسمى في مصطلح الحديث مبهم، ولم تأت رواية تنص - فيما نعلم - على تسمية هذا الرجل، إلا أن الحافظ احتمل احتمالاً قال: يحتمل أن يكون هو سفيان الثوري، فإن أحمد - رحمه الله - أخرجه من روايته عن قيس بن مسلم الجدي، وإذا كان كذلك فأولى من أحمد البخاري، فإن البخاري قد أخرجه في موضعين من طريق من؟ من طريق الثوري، من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن الثوري، ومن طريق محمد بن يوسف الفريابي عن

الثوري، فإذا كان هو الثوري فهو موجود عند البخاري في الصحيح، فما نحتاج إلى أن نذهب إلى أحمد، ولناأخذه من هنا، فهذا هو.

وقيس بن مسلم هو الجَدَلِي، بفتح الجيم والذال المهملة الكوفي، ثقة، ثبتٌ عابدٌ، نسب إلى الإرجاء، يعنى رُمي ببدعة الإرجاء، وشيخه طارق بن شهاب.

وطارق بن شهاب هو الأحمس البجلي، معدودٌ في الصَّحابة كما ذكروا، رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو كبيرٌ، لكنه لم يثبت له سماعٌ من النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا هو طارق بن شهاب، لم يثبت له سماعٌ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإنما ثبتت رؤيته لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وغزا مع أبي بكر، وغزا مع عمر -رضي الله تعالى عنهم جميعاً- وهو معدودٌ عند بعضهم من التابعين الكبار، ولكن الصواب أنه من الصحابة وإن لم يسمع من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وله في الأمهات أربعةٌ وثمانون حديثاً -رحمه الله ورضي عنه- وإذا كان قد ثبتت رؤيته لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومات على الإسلام فيكون صحابياً ولا لاً؟ يكون صحابياً، فأنت قد تجتمع بالشيخ الفلاني لكن لا تروي عنه، ولا تدرس عليه لكن تُعد في أصحابه ولا لاً؟ تُعد في أصحابه، يعني أنت ما قرأت عليه كتاباً، ما سمعت منه حديثاً في العلم، مجلساً في العلم، لكن إذا جاء مجلساً عام جلست معه، تسمع حديثه مع الناس، فطارق بن شهاب -رضي الله تعالى عنه- رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- ثبتت رؤيته لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إذا

ثبتت رؤيته صحابي ولا لأ؟ صحابي، إذا كان كذلك فيبقى فقط روايته مُرسلة، ومُرسل الصحابي ليس كمُرسل غيره، بل هو محمولٌ على الاتصال، قال في الألفية:

وَكُلُّ مَا أُرْسِلَهُ الصَّحَابِيُّ فَحُكْمُهُ الْوَصْلُ عَلَى الصَّوَابِ

فقوله: حكمه الوصل على الصواب إشارة إلى أن المسألة فيها خلاف، لكن الراجح أنه موصول، مُرسل الصحابي حجة مقبول، ولذلك قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- قال: "إذا ثبت أنه لم يسمع منه، وثبت أنه لقيه فروايته مرسل صحابي، وهو مقبولٌ على الراجح" يعني إيش؟ مُرسل الصحابي مقبول على الراجح، من أقوال أهل العلم، فقوله: على الراجح إشارة إلام؟ إشارة إلى وجود الخلاف عند بعض الأصوليين، وبعض الفقهاء، وبعض المحدثين لكن الراجح أنه متصل، حكمه الوصل على الصواب، وهذا البيت في الألفية ملخص:

وَكُلُّ مَا أُرْسِلَهُ الصَّحَابِيُّ فَحُكْمُهُ الْوَصْلُ عَلَى الصَّوَابِ

إشارة إلى وجود الخلاف لكنه على غير الصواب، الصواب أنه موصول لم؟ لأن هذا الصحابي قد ثبتت عدالته، وإذا كان كذلك فما يمكن أن يُحدث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا بما ثبت عنده عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

هذا هو طارق بن شهاب -رضي الله تعالى عنه- وحينئذٍ فهذا الحديث من مراسيل الصحابة التي وقعت في صحيح البخاري، والبخاري يُحتجُّ به ولا لأ؟، مشياً علام؟ على الصواب، فلو كان هذا مما يؤثر في الحديث لاجتنبه البخاري، وشرطه أعلى الشروط في الصحيح ولا لأ؟ هذا شرط

البخاري أعلى الشروط في الصحيح ومع ذلك خرّج مُرسل الصحابي، احتجنا إلى أن نقول هذا؛ لأن أبا داود - رحمه الله - قد تكلم على طارق بن شهاب في مراسيله، نقول: الصواب ما مشى عليه البخاري - رحمه الله - من أن مراسيل الصحابة حكمها حكم الاتصال، ولا يضيرهم في هذا شيء بإذن الله - تبارك وتعالى - هذا ما يتعلق برجال الإسناد.

بعد ذلك نأتي إلى ما يتعلق بمتن هذا الحديث، ومتنه كما سمعنا يعيده علينا الشيخ، أعدّه مرة أخرى، الرحلة طالت فلعلهم قد نسوا المتن قليلاً.

المتن:

حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَسْعَرٍ وَغَيْرِهِ عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^{المائدة: ٣}، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ، سَمِعَ سُفْيَانُ مِنْ مَسْعَرٍ وَمَسْعَرٌ قَيْسًا وَقَيْسٌ طَارِقًا.

الشرح:

نقول: استفتح به الاعتصام - رحمه الله تعالى - وقد أشار إلى الشاهد في هذا المناسب للترجمة، فإن الترجمة كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ثم ذكر تحته هذا الحديث، الذي فيه أن اليهود قالوا: يا أمير المؤمنين، لو أن علينا نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^{المائدة: ٣} لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة في يوم الجمعة.

هذه الآية: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ آل عمران : ٢٠١، واضحة المناسبة فيها للكتاب، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، فالمراد بالحبل الكتاب والسنة كما قلنا قبل قليل، كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ»، هذه هي الثلاثة التي يرضاها الله لنا، أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، وأن نعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرق، وأن نناصح من ولَّاه الله أمرنا، «ويكره لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»، خرَّج ذلك مسلم في صحيحه، عن جابر - رضي الله تعالى عنه -، أيضًا لكنه بلفظ قريب حيث جاء فيه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -» واللفظ المشهور: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي» فالنبي - عليه الصلاة والسلام - أخبر هنا أن التمسك بكتاب الله - جلَّ وعلا -، وبسنته - عليه الصلاة والسلام - هي سبب النجاة حين وجود الخلاف، وحين وجود الشر، ولا شك هذا التمسك هو الاعتصام فقد جاء في الحاكم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي» فهذا هو الاعتصام بالكتاب والسنة، يعني التمسك بهما، فهما الحبل، فعلى كل مؤمن - كما ذكرنا قبل قليل في كلامنا - على كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من أمور الدين، خصوصًا أمور الدين إلا تبعًا لما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ولا يتقدم بين يديه، بل يجب عليه أن ينظر

ما قال -صلى الله عليه وسلم- فيكون قوله تبعًا لقوله، ويكون عمله تبعًا لعمله -صلى الله عليه وسلم- فهذا الذي كان عليه الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-.

وهكذا من سلك سبيلهم من التابعين لم يكن منهم أحد يعارض كلام الله وكلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمعقوله، بل كانوا يذمون أشد الذم من رأوا منه ذلك ويسمون به ينفر الناس منه، يسمونه أنه من أهل الرأي، فيجب على المسلم أن يكون هكذا لا يعارض النصوص، وأئمة المسلمين كانوا كذلك، فلم يكن منهم أحد يعارض النصوص بمعقوله، يقول هذا الحديث ما يدخل العقل، هذا الحديث ما يقبله العقل، هذا الحديث ما يصدق العقل، هذا الحديث العقل يشهد بخلافه وهكذا، ما كانوا كذلك؛ لأن من قال هذا فقد أسس دينًا غير ما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن أردتم فارجعوا إلى بسط هذا عند شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في الفتاوى فإنكم واجدوه.

الشاهد: ينبغي للمسلم ويجب عليه ألا يعارض كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمعقوله، فضلًا عن أن يتقدم بين يديه -عليه الصلاة والسلام- بل الواجب عليه أن ينظر فيما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيكون قوله تبعًا لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعمله تبعًا لعمل النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإذا أراد معرفة شيء من أمور الدين فعليه أن ينظر في مقال الله ومقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمنه يتعلم وبه يتكلم، فمن تعلم ثم تكلم وفق للصواب وأنتم ترون -حفظكم الله- الفرق بين كلام أهل العلم العارفين بالتفسير وسنة رسول الله -صلى

الله عليه وسلم- وبين كلام العقلانيين الذين يعترضون على كلام الله ورسوله بعقولهم وبآرائهم، فالواجب على العبد أن يتعلم من هذا النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم بعد ذلك يتكلم، والواجب عليه أن ينظر ويتفكر، فإذا تفكر وتدبر استنار، وإذا استنار أبصر الحق وقال الحق، هذا هو الواجب فلا يجوز للعبد أن يتكلم في دين الله وهو لا يعلم؛ لأنه سيسأل عن ذلك يوم القيامة -نسأل الله العافية والسلامة- وهذا أصل أهل السنة كما قلنا لكم في أول كلامنا الذي به بفضل الله نجوا من الأهواء والبدع، كانوا لا يتقدمون بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإنما ينظرون في قوله وفعله فقولهم المقدم قبل قولهم، وفعله المقدم قبل فعلهم، فإذا كان كذلك حصلت النجاة؛ لأنهم حينئذ يعتصمون بقوله -عليه الصلاة والسلام- وبفعله، فإذا قالوا مثلما قال وفعلوا مثلما فعل فقد نجوا من الهلاك، وهذا هو الاعتصام الواجب على المسلم أن يراعي هذا غاية المراعاة، وليعلم أنه إذا فرط في هذا فقد أصيب في مقتل، إذا فرط في هذا الذي هو باب الاتباع، باب الاعتصام بالكتاب والسنة فقد أصيب في مقتل؛ لأن هذا المقتل هو كأول الطعنة يُفتح باب للأهواء إلى قلبه، فيسهل عليه الاعتراض، ثم بعد ذلك يفارق الكتاب والسنة ويترك الاعتصام فيقع في الهلاك -نسأل الله العافية والسلامة-.

إذا فالاعتصام بكتاب الله وبسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتمسك بهما سبب لحصول المقصود، وهو النجاة من الفتن والوقوع فيها في الدنيا، وحصول الثواب والنجاة من العقاب في الآخرة، فكما أن الحبل سبب لحصول المقصود لمن تمسك به فيسلم من الهلاك، هكذا

الكتاب والسنة سبب لحصول المقصود لمن تمسك بهما فينجو من الهلاك ومن الوقوع في الأهواء،
وليعلم أنه قد قالت العلماء -رحمهم الله-: "إنه لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله أو في سنة رسول
الله -صلى الله عليه وسلم- أو في إجماع".

العصمة هنا، لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله أو في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو
في إجماع، فإذا اعتصمت بالكتاب سلمت وعُصمت وهُديت، وإذا اعتصمت بالسنة كذلك، وإذا
اعتصمت بالإجماع كذلك، ونريد بالإجماع الإجماع الصحيح الذي يثبت أنه إجماع لماذا؟ لأن أمة
النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تجتمع على ضلالة؛ إذاً فالعصمة في هذه الثلاثة، العصمة فيم؟ في
كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو في إجماع العلماء، قال -جل وعلا-: ﴿وَمَنْ
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا﴾ (١١٥) آل شفاء: ٥١١

فهنا أشار الله -جل وعز- إلى مشاقة الرسول يعني ترك الأخذ بمقاله واتباعنا لأفعاله وترك
أيضاً إجماع أهل الإسلام ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥) آل شفاء: ٥١١

لعلنا نقف على هذا، ونصلي حتى ما نطيل على الناس، وبعد الصلاة نواصل -إن شاء الله-.
وصلى الله على نبينا محمد.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

miraath.net



وجزاكم الله خيرا.